جامعة بيروت العربية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

التلوين الاسلوبي في القرآن الكريم

مكتبة كلية الآداب
جامعة بيروت العربية
بيروت
لبنان

رسالة مقدمة مـن

بشير سالم حسن فرج

للحصول على درجة
الماجستير ـ قسم اللغة العربية

اشراف

الدكتور محمد بدري عبد الجليل

١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى جعل القرآن الكريم معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فاظهر من بلاغته ما اعجز البلغاء ومن حسن نظمه ما حارت فيه عقول الاذكياء فالقرآن الكريم له الاثر الاكبر والتأثير المباشر في اللغة العربية فقد نزل القرآن بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا فكان اشبه شيء بالنور في جملة منسقه ، اذ النور جملة واحدة وانما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته ، وهو في كل جزء من اجزائه جملة لا يعارض بشيء الا اذا خلقت سماء غير السماء ، وبدلت الارض غير الارض ، وانما كان ذلك لانه صفى اللغة العربية من اكدارها واجراها في ظاهرها على بواطن اسرارها " .

وللقرآن الكريم اثره في العلوم جمعاء فله وجه اجتماعي من حيث تأثيره في العقل الانساني وهو معجزة التاريخ العربي خاصة ثم هو بآثاره النامية معجزة اصلية في تاريخ العلم كله على بسيط هذه الارض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد تحدى القرآن اهل البيان في ان يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا فانظر الى قول الله تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " (١)

ويؤكد ذلك ما ذهب اليه المفسرون في سبب نزول هاتين الايتين الكريمتين اذ ان المراد : " المشركون الذين تحدوا ، فانهم لما سمعوا القرآن قالوا : ما يشبه هذا كلام الله ، وانا لفي شك منه وهو امر معناه التعجيز ، لانه تعالى عجزهم عنه .

وانظر الى قوله تعالى : " ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " (٢) .

ويؤكد ذلك ما ذهب اليه المفسرون في سبب نزول هذه الاية الكريمة اذ ان المراد : " انهم يقولون اختلق محمد هذا القرآن من قبل نفسه ؟ وهو استفهام معناه التقريع . وقوله : " فاتوا

---

(١) ٢٣ ، ٢٤ م البقرة ٢ .
(٢) ٣٨ آية يونس ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسورة مثله هذا القرآن ،وهو تعجيز لهم واقامة حجة عليهم .

وقوله تعالى : " ايضا في بيان التعجيز على ان يأتوا بمثله ، يقول تعالى :

: " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهرا " (١) .

يؤكد ذلك ما ذهب اليه المفسرون في سبب نزول هذه الاية الكريمة اذا ان المراد : اى لو اتفق واجتمع ارباب الفصاحة والبيان من الانس والجان واراد وا ان يأتوا بمثل هذا القرآن لما اطاقوا ذلك ولو تعاونوا وتساعدوا على ذلك جميعا فان هذا امر لا يستطاع وليس بمقدور احد .

---

(١) ٨٨ ك - الاسراء ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقولـــه تعالـــى : " ام يقولـــون افتـــراه قل فاتوا بعشـــــــــر سور مثله مفتريـــات وادعـــوا من استطعتـــم من دون اللـــــه ان كنتـــم صادقيـــن " (١) .

ويؤكد ذلك ما ذهـب اليه المفســرون في ســبب نـــــــــزول هذه الايـــة الكريـــمة اذا ان المراد : كما جاء في التفسير الكبيـــر للـــرازى قولـــه :

" اختلف الناس في الوجه الذى لاجله كان القرآن معجزا " .

فقال بعضهم : هو الفصاحة وقال بعضهم هو الاسلوب وقال ثـــالث : هو عدم التناقض وقال رابع : هو اشتماله على العلوم الكثيرة ، وقال خامـــــس : هو الصرف ، وقال ســادس : هو اشتماله على الاخبـــار عن الغيوب . والمختار عندى وعند الاكثرين لقول الرازى : " انه معجز بسبب الفصاحة . واحتجوا على صحة قولهـــم بهذه الاية لانه لو كان وجه الاعجـــاز هو كثرة العلوم او الاخبار عن الغيـــوب او عدم التناقض لم يكـــن لقولـــه : " (مفتريات) معنى اما اذا كان وجـــــه

---

(١) ١٣ ك ـ هود ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاعجاز هو الفصاحة صح ذلك لان فصاحة الفصيح تظهر دلالة الكلام الركيك النازل في الفصاحة على هذا المطلوب اوكد من دلالة الكلام العالي في الفصاحة ثم انه تعالى لما قرر وجه التحدى قال :

(وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) .

والمراد من ذلك وان كنتم صادقين في ادعاء كونه مفترى كما قال : (ام يقولون افتراه) . (١)

فالاعجاز قضية البلاغة منذ نشأتها حتى الان والقرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق في اسلوبه ونظمه وفي علومه وحكمه وفي كشفه الحجب عن الماضي والمستقبل ،

وقد تحدى محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي الامي تحدى العرب باعجازه حيث كانت العرب لغتها بليغة وهذا ما كان في شعرها وخطبها في الجاهلية فبعث الله نبيه بما هو ابلغ وافصح مما

---

(١) الرازى - التفسير الكبير - جزء ١٧ - صفحة ١٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت العرب تدعيه من الفصاحة والبلاغة بعثه وايده بالقرآن الكريم الـــــذى هو معجزة حسية باقية الى الابـــد .

فظهر عجزهم وحار بلغاؤهم من بلاغة القرآن الكريـــم .

والكلام في وجوه اعجاز القرآن كثير وقد تكلم فيه المفســـــــــرون والمتكلمون ووضع الامام عبد القاهر الجرجاني كتابيه :
(اسرار البلاغة) و(دلائل الاعجاز) لاثبات ذلك بطريقة فنية وقواعـــــد فنية وصنف بعض العلماء كتبا خاصة فيه منها : (كتاب اعجاز القرآن) للقاضي ابي بكر الباقلاني . وغيره من الكتب التي تناول اصحابها (موضوع الاعجـــاز القـــرآنـــــي) .

من هنا رأيـــت ان الميدان البلاغي الاصيل هو الاعجاز القرآنـــــي فكان موضوع هذا البحث التلوين الاسلوبي في القرآن الكريم ، لان هـــــذا نمط عال من البلاغة العربية ، وطريقة من طرق اللغة العربية .

تناولت فيه موضوع التلوين لما له من جمال في الاسلوب ولانه يندـــرج ضمن موضوعات الاعجاز القرآن الرفيـــع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالتلوين : هو التغيير وتتصل مادة "التلوين" لغويا بالتغيير الى شيء آخر يقولون : لونت الشيء فتلون . ويقال : كيف نخلكم . . . . فيقولون : حين لون اى اخذ شيئا من اللون وتغير عما كان . ويقال رجل متلون : مختلف الاخلاق . واللون ما فصل بين الشيء وبين غيره . والتلوين : تقديم الالوان من الطعام للتفكه والتلذذ : ويطلق على تغيير اسلوب الكلام الى اسلوب آخر وهو اعم من الالتفات . (١)

وتسم هذا البحث الى بابين الاول الالتفات في القرآن الكريم ويشتمل على اربعة فصـــــول :

الفصل الاول : تكلمت فيه عن حياة المصطلح والتعريف به لغويا وبلاغيا .

الفصل الثاني : الالتفات بين البلاغيين والمفسرين .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن نماذج من اساليب الالتفات في القرآن الكريم .

الفصل الرابع : عرضت فيه لقيمة الالتفات البلاغية .

ثم في الباب الثاني تحدثت فيه عن اسلوب التجريد واسلوب الحكيم واســـلوب العطف لان هذه الموضوعات تندرج ضمن موضوعات التلوين الاسلوبي . ومما لفت نظري بان هناك توافقا لغويا بين الاساليب المذكورة بينها وبين الالتفات . وقد يلفت النظر بان نصيب الالتفات في هذا البحث كان الاوفر من حيث الغرض له من اسلوب التجريـــد والحكيم والعطف وذلك بان علمـــاء البلاغة والتفســـير اعطـــوه نصيبـــا اكبر فـــي كتبهم سواء البلاغية ام كتـــب التفســـير لذلـــك فان اردت ان تبحث عن آية قرآنيـــة

---

(١) المعجم الوسيط ج ٢ - صفحة ٨٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورد فيها التفات فانك تجد ان الاكثيرية من المفسرين يتحدثون عن هـــذا الالتفات عكس المواضيع الاخرى السابقة الذكر ، فمثلا اسلوب التجريـــد عند يحيى بن حمزة في كتابه . "الطراز" لم يأت بشاهد واحد مـــــن القـرآن الكريـــم .

لهذا كان نصيب الالتفات في هذا البحث هو الاوفـــر .

والاسلوب القرآني ينقسم الى قسمين مكي ومدني . فلم يكن بـــد من التفريق بين لونين من الوحي وحي مكي ووحي مدني ذلك ان لكـــل وحي اسلوبه الذى تميز به عن الاخر . لذلك رأيت ان ابين طبيعة الوحـــي المكي والمدني ومميزاتهما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبيعـــة الوحي المكي والمدنـــي

من اشرف علوم القرآن الكريم علم نزوله وجهاته وترتيب ما نـــــزل بمكة والمدينة ،وما جاء بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكـــــي وما نزل بمكة في اهل المدينة وما نزل بالمدينة في اهل مكة .

جاء في كتاب الاتقان في علوم القرآن قول السيوطي :

" اعلم ان للناس في المكي والمدني باصطلاحات ثلاثة : اشهرهـــا ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة ام بالمدينة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر من الاسفار . (١)

وما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل بلوغ النبي صلى اللـــه عليه وسلم المدينة فانه مكي وما نزل عليه صلى الله عليه وسلم في اسفاره بعـــد قدومه المدينة فهو مدني .

---

(١) السيوطي ـ كتاب : الاتقان ـ : جزء اول ـ صفحة ١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك يتبين لنا ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة .

ويقول السيوطي : " وعلى هذا نثبت الواسطة ، فما نزل بالاسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني . وقد اخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن لسليم بن عامر عن ابي امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انزل القرآن في ثلاثة امكنة : مكة المدينة ، الشام " . قال الوليد : يعني بيت المقدس " (١) .

اذا المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها .

وان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا فان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة وعليه يحمل قول ابن مسعود الاتي قال القاضي ابو بكر في الانتصار انما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول لانه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الامة وان وجب في بعضه على اهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول . (٢)

---

(١) السيوطي ، كتاب الاتقان - ج ١ - صفحة ١٢

(٢) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا الكلام يحمل قول ابن مسعود الآتي :

لان الغالب على اهل مكة الكفر فخوطبوا بـ" يا ايها الناس" وان كان غيرهم داخلا فيهم ، وكان الغالب على اهل المدينة الايمان فخوطبوا بـ " يا ايها الذين آمنوا " وان كان غيرهم داخلا فيهم "(١) .

يقول الزركشي بهذا الخصوص :

" ومن جملة علاماته ايضا ان كل سورة فيها " يا ايها الناس" . . . وليس فيها " يا ايها الذين آمنوا " فهي مكية ، وفي الحج اختلاف . وكل سورة فيها " كلا " فهي مكية ، وكل سورة فيها حروف المعجم فهي مكية الا البقرة ،وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت . ويضيف الزركشي :" وقال هشام عن ابيه : كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية وكل ماكان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية "(٢) .

---

(١) الزركشي - كتاب البرهان في علوم القرآن - ج ١ - صفحة ١٨٧

(٢) الزركشي : كتاب البرهان - ج ١ - صفحة ١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مميـــزات المكـــي والمدنـــي

استقرأ العلماء السور المكية والسور المدنية واستنبطوا ضوابـــط قياسية لكل من المكي والمدني تبين خصائص الاسـلوب والموضوعات التـــي يتناولها وخرجوا من ذلك بقواعد ومميزات . تميز كل وحي من التنزيل عن الاخر بمميزات وضوابط وهذا عرض لهذه المميزات والضوابط :

ضوابط المكي :

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية

٢- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية ولم ترد الا في النصـــف الاخير من القرآن .

٣- كل سورة فيها (ايا ايها الناس) وليس فيا يا ايها الذين امنوا) فهي مكية ، الا سورة الحج ففي اواخرها (يا ايها الذيـــن آمنوا اركعوا واسجدوا) ومع هذا فان كثيرا من العلماء يـــرى ان هذه الاية مكية كذلك .

٤- كل سورة فيها قصص الانبياء والامم الغابرة فهي مكية سوى البقرة .

٥- كل سورة فيها قصة آدم وابليس فهي مكية سوى البقرة كذلك .

٦- كل سورة تفتتح بحروف التهجي نك "الم" و "الر" و "حم" ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين : وهما البقرة وآل عمران واختلفوا ، في سورة الرعد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مميـــزات المكـــي :

١- الدعوة الى التوحيد وعبادة الله وحده واثبات الرسالة واثبـــات البعث والجزاء وذكر القيامة وهولها والنار وعذابها والجنـــة ونعيمها ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والايات الكونية .

٢- وضع الاسس العامة للتشريع والفضائل الاخلاقية التي يقوم عليهـــا كيان المجتمع وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء واكـــل اموال اليتامى ظلما ووأد البنات وما كانوا عليه من سوء العادات .

٣- ذكر قصص الانبياء والامم السابقة زجرا لهم حتى يعتبروا بمصيـــر المكذبين قبلهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وســـلم حتى يصبر على آذاهم ويطمئن الى الانتصار عليهم .

٤- قصر الفواصل مع قوة الالفاظ وايجاز العبارة ،بما يصخ الاذان .. ويشتد قرعه على المسامع ويصعق القلوب ، ويؤكد المعنى بكثـــرة القسم كقصار المفصل الا نادرا .

ضوابط المدنـــي :

١- كل سورة فيها فريضة اوحد فهي مدنية

٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فانها مكية .

٣- كل سورة فيها مجادلة اهل الكتاب فهي مدنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مميـــزات المدنـــــي :

١- بيان العبادات والمعاملات والحدود ونظام الاسرة والمواريـــث وفضيلة الجهاد والصلات الاجتماعية والعلاقات الدوليـــــة في السلم والحرب ،وقواعد الحكم ومسائل التشريع .

٢- مخاطبة اهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم الـــــى الاسلام وبيان تحريفهم لكتاب الله وتجنيهم على الحق واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم .

٣- الكشف عن سلوك المنافقين وتحليل نفسيتهم وازاحة الســـتار عن خباياهم وبيان خطرهم على الدين .

٤- طول المقاطع والايات في اسلوب يقرر الشريعة ويوضح اهدافهـــا ومراميها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفخـــر الـــــرازي :

- التفسير الكبير - دار الكتب العلمية - طهران

الفيروزابادي - مجد الدين محمد بن يعقوب :

- القاموس المحيط - دار الجيل بيروت .

القرطاجني - ابو هازم :

- منهاج البلغاء وسراج الادباء - تحقيق محمد الحبيب بن الخوجـــة - طبع دار الغرب الاسلامي - بيروت .

القرطبي - ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري :ج

- الجامع لاحكام القرآن - دار احياء التراث العربي - بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهـــــــــرس

الصفحة

- تقديـــــم ٣
- طبيعة الوحي المكي والمدني ١١
- مميزات المكي والمدني ١٤
- الباب الاول ـ الالتفات

الفصـــل الاول :

- حيـــاة المصطلح وتعريفـــه ١٩
- تعريف الالتفات لغويا ٢٥
- تعريف الالتفات بلاغيا ٢٨

الفصل الثانـــي :

- الالتفات بين البلاغيين والمفسرين ٣٧
- البلاغيون والالتفات ٣٧
- المفسرون والالتفـــات ٧٣

الفصـــل الثالث :

- نماذج من اساليب الالتفات في القرآن الكريم... .. ٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحة

- الالتفات من الغائب الى المخاطب ٨٩
- الالتفات من المخاطب الى الغائب ١٠٥
- الالتفات من الغيبة الى التكلم ١١٢
- الالتفات من التكلم الى الغيبة ١٢١
- الالتفات من التكلم الى الخطاب ١٢٨

الفصل الرابع :

اولا : القيمة البلاغية للالتفات ١٣١
ثانيا : الالتفات في الايات المكية والمدنية ١٤٨

- الباب الثاني :

اولا : اسلوب التجريد ١٥٦
- تعريفه لغويا ١٥٧
- تعريفه بلاغيا ١٥٨
- اقسام التجريد ١٥٩
- نماذج من اساليب التجريد ١٦٠
- الزمخشري والتجريد ١٦٤
- يحيى بن حمزة والتجريد ١٦٥
- السيوطي والتجريد ١٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit